موجز في تفسير سورة القمر

تَيسيرُ القرآن للذِّكر، محاكاتُه الفطرةَ الإنسانيّة

إعداد: سليمان بيضون

*** سورة (القمر) هي السُّورة الرّابعة والخَمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة (الطّارق).**
*** آياتُها خمسٌ وخمسون، وهي مكّيّة، مَن قرأها كلَّ ليلة جاء يومَ القيامة ووجهُه مُسفرٌ على وجوه الخلائق.**
*** تتميّز آياتُها بالقِصَر، والقوّة والحركيّة. وسمّيت بـ (سورة القمر) لأنّ الآية الأولى منها تتحدّث عن شقّ القمر.**
في ما يلي موجز في تفسيرها ننقله بتصرف من تفاسير «الميزان» و«الأمثل» و«نور الثقلين».

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «اجتمعَ أربعة عشر رجلاً، أصحاب العقبة، ليلةَ أربع عشرة من ذي الحجّة، فقالوا للنّبيّ صلى الله عليه وآله: ما من نبيٍّ إلّا وله آية، فما آيتُك في ليلتِكَ هذه؟

فقال [النّبيّ صلّى الله عليه وآله]: **ما الّذي تُريدونَ؟**

فقالوا: إن يكن لك عند ربّك قدر، فَأمُر القمرَ أن ينقطعَ قطعتَين.

فهبطَ جبرئيل عليه السلام وقال: «**يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقولُ لَكَ: إنّي قَدْ أَمَرْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِطاعَتِكَ**»، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَأَمَرَ القَمَرَ أَنْ يَنْقَطِعَ قِطْعَتَيْنِ، فَانْقَطَعَ قِطْعَتَيْنِ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله شُكْراً [لله تعالى]، وَسَجَد شيعَتُنا، ثُمَّ رَفَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، رَأْسَهُ وَرَفَعوا رُؤوسَهُمْ، ثُمَّ قالوا: يَعودُ كَما كانَ. فَعادَ كَما كانَ، ثُمَّ قالوا: يَنْشَقُّ رَأْسُهُ! فَأَمَرَهُ فَانْشَقَّ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله شُكْراً لِلهِ، وَسَجَد شيعَتُنا، فَقالوا: يا مُحَمَّدُ، حينَ تَقْدَمُ سُفّارُنا مِنَ الشّامِ وَاليَمَنِ نَسْأَلُهُمْ ما رَأَوْا في هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَإِنْ يَكونوا رَأَوْا مِثْلَ ما رَأَيْنا، عَلِمْنا أَنَّهُ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ يَرَوْا مِثْلَ ما رَأَينا، عَلِمْنا أَنَّهُ سِحْرٌ سَحَرْتَنا بِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ..﴾ إلى آخِرِ السّورَةِ».

محتوى السّورة

«**تفسير الميزان**»: سورة (القمر) مُمْحِضَةٌ في الإنذار والتّخويف، إلّا آيتَين من آخرها تبشّران المتّقين بالجنّة.

تبدأ السّورة بالإشارة إلى آية شقّ القمر التي أتى بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن اقتراحٍ وتحدٍّ من قومه، وتذكُر رميَهم له بالسّحر، وتكذيبَهم إيّاه، واتّباعَهم الأهواء، مع ما جاءهم من الأنباء الزّاجرة عن يوم القيامة وعن الأُمم الغابرة الهالكة. ثمّ يعيد الله تعالى عليهم نبذة من تلك الأنباء إعادةَ ساخطٍ معاتِب، فيذكر سيّئ حالهم يوم القيامة عند خروجهم من الأجداث وحضورهم للحساب.

ثمّ تشير السّورة إلى قصص قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وآل فرعون، وما نزل بهم من أليم العذاب إثرَ تكذيبهم بالنُّذُر، وليس قوم النّبيّ صلى الله عليه وآله بأعزَّ عند الله منهم وما هم بمعجزين، وتختتم السّورة بالبُشرى للمتّقين.

***

«**تفسير الأمثل**»: نلاحظ في هذه السّورة تكرار قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (الآيات: ١٧-٢٢-٣٢-٤٠-٥١، ومعنى مدَّكِر: مُتَّعِظ)، وذلك بعد كلّ مشهدٍ من مشاهد العذاب الذي حلّ بالأُمم الماضية، لكي يكون درساً وعِظَةً للمسلمين والكفّار. ويمكن تلخيص أبحاث هذه السّورة في عدّة أقسام:

١ - تبدأ السّورة بالحديث عن قُرب وقوع يوم القيامة، وموضوع شقّ القمر، وإصرار المُخالفين وعنادهم في إنكار الآيات الإلهيّة.

٢ - يتناول القسم الثّاني أحوال الأقوام التي تمرّدت على الأوامر الإلهيّة، وبيان ضروب العذاب الذي حلّ بهم نتيجة مكابرتهم وطغيانهم وفسادهم في الأرض، وهم: قوم النّبيّ نوح، وقوم عاد، وثمود، وقوم النّبيّ لوط، وآل فرعون.

٣- في القسم الأخير تعرض السّورة المباركة مقارنةً بين هذه الأُمم وبين مشركي مكّة وأعداء الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، محذّرةً من المستقبل الخطير الذي ينتظرهم إنْ هم استمرّوا على عنادهم وإصرارهم في رفض الدّعوة الإلهيّة. وتختم السورة باستعراض مشاهد من عقاب المشركين، وجزاء المؤمنين المتّقين.

ثوابُ تلاوة (سورة القمر)

«**مجمع البيان**»: عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ (اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ) في كُلِّ عَشِيَّةٍ بُعِثَ يَوْمَ القِيامَةِ وَوَجْهُهُ عَلى صورةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَمَنْ قَرَأَها كُلَّ لَيْلَةٍ كانَ أَفْضَلَ، وَجاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَوَجْهُهُ مُسْفِرٌ عَلى وُجوهِ الخَلائِقِ**».

«**ثواب الأعمال**»: عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ (اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ) أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ قَبْرِهِ عَلى ناقَةٍ مِنْ نُوقِ الجَنَّةِ**».

تفسيرُ آياتٍ منها

«**تفسير نور الثّقلَين**»:

قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ الآية:١١.

* أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَمْ تَنْزِلْ قَطْرَةٌ مِنَ السَّماءِ مِنْ مَطَرٍ إِلّا بِعَدَدٍ مَعْدودٍ وَوَزْنٍ مَعْلومٍ، إِلّا ما كانَ مِنْ يَوْمِ الطّوفانِ عَلى عَهْدِ نوحٍ، عَلَيْهِ السَّلام، فَإِنَّهُ نَزَلَ ماءٌ مُنْهَمِرٌ بِلا وَزْنٍ وَلا عَدَدٍ..**».

** الإمام الصّادق عليه السلام: «**كانَ أَبي يَكْرَهُ أَنْ يَتَداوى بِالماءِ المُرِّ وبِماءِ الكِبْريتِ، وَكانَ يَقولُ: إِنَّ نوحاً لَمّا كانَ الطّوفانُ دَعا المِياهَ فَأَجابَتْ كُلُّها إِلّا الماءَ المُرَّ وَالماءَ الكِبْريتَ، فَدَعا عَلَيْهِما فَلَعَنَهُما**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ الآية:١٩.

الإمام الباقر عليه السلام: «**إِذا أَرادَ اللهُ، عَزَّ ذِكْرُهُ، أَنْ يُعَذِّبَ قَوْماً بِنَوْعٍ مِنَ العَذابِ أَوْحى إِلى المَلَكِ المُوَكَّلِ بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الرّيحِ الّتي يُريدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها، فَيَأْمُرُها المَلَكُ فَتَهيجُ كَما يَهيجُ الأَسَدُ المُغْضَبُ، وَلِكُلِّ ريحٍ مِنْهُمُ اسْمٌ..**».

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا..﴾ الآية:٤٢.

الإمام الباقر عليه السلام: «**يَعْني الأَوْصِياءَ كُلَّهُمْ**».

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ الآية:٤٨.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «**.. إِنَّ القَدَرِيَّةَ** [القدَريّ كلّ من لا يقول بالاختيار والأمر بين الأمرين، سواء كان يقول بالتفويض أو بالجبر] **مَجوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهُمُ الّذينَ أَرادوا أَنْ يَصِفوا اللهَ بِعَدْلِهِ فَأَخْرَجوهُ مِنْ سُلْطانِهِ، وَفيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ..**».

** عنه عليه السلام: «**إِنَّ في جَهَنَّمَ لَواديا لِلْمُتَكَبِّرينَ يُقالُ لَهُ سَقَرُ، شَكا إِلى اللهِ شِدَّةَ حَرِّهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ، فَتَنَفَّسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ الآية:٤٩.

سُئل أميرُ المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية فقال: «**يَقولُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ لِأَهْلِ النّارِ بِقَدْرِ أَعْمالِهِمْ**».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ الآيتان:٥٤-٥٥.

* رسول الله ﷺ: «**يا عَلِيُّ، أَما عَلِمْتَ أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّنا وَانْتَحَلَ مَحَبَّتَنا أَسْكَنَهُ اللهُ مَعَنا**»، ثمّ تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿.. فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

قال الشّيخ الطّبرسيّ في (مجمع البيان) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾:

أي سهّلناه للحفظ والقراءة ".." والتّيسير للشّيء هو تسهيلُه بما ليس فيه كثيرُ مشقّةٍ على النّفس، فمن سُهِّل له طريقُ العلم، فهو حقيقٌ بأخذ الحظّ الجزيل منه، لأنّ التّسهيل أكبرُ داعٍ إليه، وتسهيل القرآن للذّكر هو خفّةُ ذلك على النّفس، بحُسن البيان، وظهور البرهان في الحِكَم السّنيّة، والمعاني الصّحيحة الموثوق بها، لمجيئها من قِبَل الله تعالى.

وإنّما صار الذّكرُ من أجل ما يُدعى إليه ويُحَثُّ عليه، (و) لأنّه طريقُ العلم، لأنّ السّاهي عن الشيء أو عن دليله، لا يجوز أن يعلَمه في حال سَهوه، فإذا تذكّر الدلائلَ عليه، والطُّرقَ المؤدّيةَ إليه، تعرّض لعلمِه من الوجه الذي ينبغي له.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

عن إعجاز القرآن، وخُلوده

الشّهيد السّيّد مصطفى الخمينيّ رحمه الله

في تفسيره (مفتاح أحسن الخزائن الإلهيّة) يُورد العلّامة الشّهيد السّيّد مصطفى الخمينيّ رحمه الله خمسة عشر وجهاً لإعجاز القرآن الكريم، في سياق تفسيره الآيةَ الثّالثة والعشرين من سورة البقرة، وهي قولُه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، وقد انتخبنا في هذه المقالة ثمانية وجوهٍ منها ذكرناها مختصرة جدّاً وبتصرّفٍ في العبارات.

للقرآن الكريم قدمٌ راسخ في كلّ وادٍ من المسائل العرفانيّة، والإلهيّة، والحكميّة، والفلسفة الطّبيعيّة، والماديّة، وفيه آياتٌ باهرات كاشفةٌ عن تلك الحقائق برموز وإشارات وتَنبيهات. فمن وجوه الإعجاز والتّحدّي فيه:

١- اشْتِمالُه على المعارف العالية

يتضمّن القرآن الكريم المعارف الرّاقية التي لا يصلُ إليها بُعدُ أفكار العرفاء الشّامخين ولا آراءُ الفلاسفة البارعين، فإنّه أتى بتوحيدٍ يحكي عنه قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ..﴾ الحديد:٤.

ولم يتمكّن البشرُ - إلى هذه العصور المتقدّمة - من فَهم معيّة الذّات الأحديّة الإلهيّة البسيطة مع الكَثَرات السّرابيّة التي بِقِيعَة، وبنَوا على حمل الآية الكريمة على المعيّة القيّوميّة، التي تكون للذّات الإلهيّة بالمجاز لا الحقيقة.

٢- أصول الأخلاق في القرآن الكريم

يحوي القرآن العزيز أصولَ الأخلاق الإنسانيّة، وعروقَ الكمالات النّفسانيّة، ويذكّر الإنسان بالمعارج الملكوتيّة والمحاسن اللّاهوتيّة، فيُعلنُ مُدوياً: ﴿..قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ المائدة:١٥-١٦.

ولا يتمكّنُ البشر من الاطّلاع على تلك السُّبل المخبوءةِ في زوايا القلوب والأرواح، ولن يفطنوا إلى حقيقة أنّ الإنسان البالغَ إلى حدّ الرّضا بالرّضوان - كما في الآية - والمُتحقّق بمقام الرّضا، والمتَشَنّن بشأن هذه المنقبة العالية والصّفة الرّاقية، يكون بعدُ في الظّلمات، فيُخرجه منها القرآن العزيز إلى النّور، ويهديه إلى الصّراط المستقيم، فلا استقامةَ إلّا به.

٣- الحقائق الحِكميّة والطّبيعيّة

لقد كشف القرآنُ المجيد النّقاب عن الحقائق الحكميّة والمسائل الفلسفيّة في عباراتٍ موجزة، فيُنادي - مثلاً - في موقف الإشارة إلى مسألة وحدة الوجود وأصالته بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾ النور:٣٥. ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ..﴾ الحديد:٣...

وفي معرض الإشارة إلى كيفيّة حصول الكثرة في العالَم، نستحضِرُ الأيمان والأقسامَ في السّوَر المكّيّة في الأجزاء الأخيرة، كسورة المرسَلات وسورة العاديات، وسورة النّازعات، وفي هذه اليمينيّات أسرارٌ إلهيّة، ومسائلُ فلسفيّة

بلغت غايتَها في عبارات رائقة متعدّدة المراتب، حسب اختلاف رُتب عقول البشر وأفكار القارئين.

وفي موقف وجود الوسائط بين الواحد الأوّل، والمادّة التي هي مَثارُ الكَثرة، نقرأ – كنموذج – قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون:.١٤

٤- القوانين الفرديّة والاجتماعيَّة

يتضمّنُ القرآنُ القوانين التي يحتاج إليها الإنسان في حياته الفرديّة والاجتماعيّة، كما يحتاجُ إليها في سياستِه الأُسَريَّة وصولاً إلى سياسة القُطْرِ الّذي هُوَ فيه، وسياسة الأُمّة كلّها.

إنّ القرآن ناظمُ النّظام الخاصّ، وصاحبُ الفكر الحديث في كيفية إدارة المُلك وإعاشة الطّبقات: ففيه قوانين فرديّة تنظّم العلاقة بين العباد وخالقهم، وهي تربويّة روحيّة ضروريّة للحفاظ على النّظام العامّ الاجتماعيّ، منها قوانين الطّهارة والصّلاة والصّوم والاعتكاف.

وفيه القوانين المنظّمة للشؤون الماليّة – الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، وغيرها من الأحكام على التّفصيل المحرّر في المصنّفات الفقهيّة، وهي خلاصةُ التّدبُّر في القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة.

٥- فصاحةُ القرآن وبلاغتُه

لقد تصدّى علماءُ الإسلام لتوضيح هذه الجهة من الإعجاز القرآنيّ في الكُتب الكلاميّة، وفي التّفاسير، وفي الرّسائل المستقلّة بما لا مزيدَ عليه.

ولَعَمري إنّ ما هو عندي عجيبٌ هو مطابقة الجمَل التّركيبيّة فيه لطباعِ البشريّة، من حيث القِصَر والطّول، وهذه هي الجهة الإيقاعيّة الخاصّة الّتي لا ينفكُّ منها الكلام المنسجم والتّركيب الموزون. وما اشتُهر من أنّ في تقديم القرآن وتأخيره جملةً على جملة أو كلمةً على كلمة، نظراً معنويّاً مطلقاً، وبلاغةً وفصاحةً خاصّةً مطلقاً، ممّا لا ترتضيه عقولُنا بعد، ولو أمكن أن تساعد عليه عقولُ المتأخّرين، فإنّهم أدقّ نظراً من القدماء الأسبَقين.

٦- ديمومةُ أساليب التّعابير القرآنيّة

من الأمور التي تُعدّ من وجوه إعجاز القرآن، ومن عجائب محاسن هذه المجموعة الإلهيّة والموسوعة الرّبّانيّة أنّه كتابٌ يمشي في جميع الأمصار والأزمان باقياً، لا يَبلى ولا يندرسُ أسلوبُه وكيفيّة تركيبه وبنوده.

ومن الجدير هنا الإلفاتُ إلى احتواء القرآن الكريم على أساليب البيان والتّعبير المعجِزة، وأنّ التّمدّن البشريّ كلّما ازداد حضارةً ورُقيّاً في كيفيّة الإلقاء والإفادة واستعمال تقنيّات التّعبير الجديدة، فإنّ القرآن يظلّ مُتقدّماً عليه من هذه النّاحية، وهادياً له إلى طريقةٍ أعلى وأرفع، وسجيّةٍ أحسن وأرقى، وهذه الميزة يلحظُها الخبيرُ المنصف عند المقارنة بين أساليب البيان والإلقاء الواردة في الكتاب المجيد، وبين المعتمَد في الأدبيّات المعاصرة.

٧- القانون والهداية معاً

من اللّطائف التي تشتمل عليها هذه الموسوعة الإلهيّة أنّ المُتعارف عليه في سائر الدّساتير

تقنيّاتُ الإلقاء والبيان المعاصرة، ما زالت قاصرةً عن مجاراة أساليب التعبير القرآنيّة.

تركيبُ الجُمَل القرآنية، من حيث القِصَر والطول، يراعي الطِّباع البشرية.

والمصنّفات القانونيّة ليس إلّا ضبط الموادّ وأصول القوانين وقيودها. لكنّ القرآن الكريم تخطّى ذلك إلى جعْل القانون يتصدّى بنفسه لهداية البشر، من حيث ذِكر السّعادة الدّنيويّة والأخرويّة المُترتّبة على الالتزام به. على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة:١٨٣، فقد تضمّنت هذه الآية تشريع الصّوم، وبيان مقاصده، وأنّه مصلحةٌ للمكلّف.

٨- كونُه تبياناً لكلّ شيء

من الخصائص التي يحتوي عليها الكتاب المبين أنّه تبيانٌ لكلّ شيء، فيكون تبياناً لنفسه بالأولويّة القطعيّة.

أمّا تبيانُ كلّ شيء فهو ممّا لا يدرَك، ولا يعلمه إلّا الله ومَن ارتضاه سبحانه واصطفاه لنفسه، وهم أهل القرآن النّازل في بيوتهم التي أَذِنَ اللهُ أن ترفَع ويُذكَر فيها اسمُه.

وأمّا تبيان نفسه، فقد تصدّى جمعٌ من السّلف والخلف لاستيضاح ما خفيَ عليهم من معارف القرآن بالاستناد إلى القرآن نفسه، معتمدين جملةً من الأساليب منها تتبُّع اللّفظ الواحد في جميع موارده من الكتاب العزيز، ثمّ مقارنة المعاني المحتملة له بعضها ببعض، وملاحظةُ أنّ ما يكون مجملاً في آيةٍ من القرآن يكون مفصّلاً في آية أخرى، إلى غير ذلك من الأساليب التي يحتاجُ تفصيلها إلى مراجعة التّفاسير المُدَّعى فيها تفسيرُ القرآن الكريم بالقرآن نفسه.

أشار القرآنُ المجيد إلى الحقائق الحكميّة والمسائل الفلسفيّة بعباراتٍ موجزة، تضمّنت حقائقَ متعدّدة المراتب، تبعاً للمُتَلقّين.

عموم إعجاز القرآن الكريم

«لو كان التحدّي ببَلاغة بيان القرآن وجَزالة أسلوبه فقط، لم يكن هذا التحدّي ليَتعدّى قوماً بعَينِهم، وهم العرب العرباء من الجاهليّين والمُخَضرمين قبل اختلاط اللّسان وفساده. بل القرآن آيةٌ للبَليغ في بلاغتِه وفصاحتِه، وللحكيم في حكمتِه، وللعالم في علمِه، وللاجتماعيّ في اجتماعه، وللمشرّعين في تشريعِهم، وللسّياسيّين في سياستهم، وللحكّام في حكومتهم، ولجميع العالَمين في ما لا ينالونه جميعاً؛ كالغَيب، والاختلاف في الحُكم، والعلم والبيان.

ومن هنا يظهر أنّ القرآن الكريم يدّعي عمومَ إعجازه من جميع الجهات، من حيث كونه إعجازاً لكلّ فردٍ من الانس والجنّ، من عامّة أو خاصّة، أو عالم أو جاهل، أو رَجُل أو امرأة، أو فاضلٍ بارعٍ في فضلِه أو مفضولٍ إذا كان ذا لُبٍّ يشعرُ بالقول.

فالإنسانُ اللّبيبُ القادرُ على تعقُّل هذه المعاني لا يشكّ في أنّ هذه المزايا الكليّة وغيرها ممّا يشتملُ عليه القرآن الشّريف كلّها فوقَ القوّة البَشريّة ووراء الوسائل الطبيعيّة الماديّة، وإن لم يقدر على ذلك فلم يضلّ في إنسانيّته، ولم ينسَ ما يحكم به وجدانُه الفطريّ من أن يرجع في ما لا يُحسِنُ اختبارَه ويجهل مأخذَه إلى أهلِ الخِبرة به».

(مختصر عن تفسير الميزان)